بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ٩٤ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ١٦/ ١٠/٢٠٢٤م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زلنا في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

تكلمنا مفصلاً عن الذكر بشكل عام، ولكن في خصوص هذه الآية هناك محطات لابد من الوقوف عندها:

المحطة الأولى: المطالع للآيات القرآنية يرى أن بعض آيات تعبر بذكر ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ كما في هذه الآية ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وبعض الآيات تعبر بذكر ربك كما في الآية ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ﴾[١] من دون توسيط الاسم، وبعض الآيات تعبر بذكر الله ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[٢]، فهل يوجد فرق بين الذكر الاسم وبين ذكر المسمى أم أن هذا من باب التفنن في العبارة ويرجع ذلك إلى معنى واحد؟

المحطة الثانية: نلاحظ أن بعض الآيات يتعدد التسبيح إلى الاسم بنفسه ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[٣] وبعض الآيات يتعدى التسبيح بواسطة حرف جر ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[٤]، فهل يوجد فرق بين هذين التعبيرين أم لا؟

المحطة الثالثة: أن الذكر في هذه الآية المباركة هل يراد منه ذكر بعينه -كما قيل إن الذكر في هذه الآية والآية التي بعدها إلى الصلوات الخمس ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي الصلاة- أو المقصود منه مطلق الذكر صلاة كان أم غير صلاة.

أما بالنسبة إلى المحطة الأولى: هل يوجد فرق بين ذكر الاسم وذكر مسمى أو لا؟

---

[١] آل عمران: ٤١
[٢] البقرة: ٢٠٣
[٣] الأعلى: ١
[٤] الواقعة: ٧٤

قال جماعة إن ذكر الاسم ليس له خصوصية، فإن الاسم أشبه ما يكون بالمعنى الحرفي، والذي يؤخذ آلة إلى المسمى، فهو المطلوب ذكر المسمى، لكن تارة تعبر عن المسمى صراحة فأقول لك: اذكر الله واذكر ربك، وتارة نعبر عن المسمى بتوسيط الاسم.

فإذاً لا يوجد فرق بين قول اذكر اسم ربك وبين قول اذكر ربك.

وجماعة كالفخر الرازي قالوا إن التعبيرات القرآنية ليست من قبيل النظم والنثر، بأن يضطر الناظم والناثر يغير في التعابير رعاية للوزن أو للفواصل، القرآن الذي هو في أعلى قمة البلاغة والفصاحة في عين محافظته على الشكل واللفظ يحافظ على المعاني.

وهذا ليس نظير الذي قال لكاتبه اكتب رسالة إلى قاضينا في قم، فقال له: أيها القاضي بقم ففكر بسجعة ولم يأت في باله سجعة غير ان يكملها قد عزلناك فقم. فوصل الخطاب إلى القاضي فقال: والله ما عزلتني إلا هذه السجعة. فهذا يريد أن يحافظ على السجع فعزل القاضي، فلم يكن مقصوداً له.

فالقرآن الكريم ليس من هذا الباب، كل الكلمة لها حساب، فلا نسلم أن الأمر بذكر اسم ربك كالأمر بذكر ربك، بل هذا يشير إلى مرتبتين من الذكر، عندما تحدثنا عن الذكر قلنا إن الذكر له مراتب، هناك ذكر العوام وهناك ذكر الخواص إلى أن نصل إلى خواص الخواص كالأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فهي ليست مجرد تفنن في العبارة.

بل المرتبة الدنيا من الذكر هو ذكر الاسم، مثل شخص يسبح ويذكر أسماء الله سبحانه وتعالى. والمرتبة الأعلى والأعظم أن تنزه الله سبحانه وتعالى، فالتسبيح عبارة عن التنزيه، فتنزه الذات بقطع النظر عن اسمها، فتنزيه الاسم مغاير لتنزيه الذات، تنزيه الاسم أن لا نطلق الأسماء المختصة على غيره تبارك وتعالى، ونوع آخر من تنزيه الاسم أن لا أطلق عليه اسماً غير لائق.

ولذا هناك بحث عندهم أن الأسماء والصفات هل هي توقيفية أو ليست توقيفية؟ وعلى كلا المقولتين لابد الاسم أو الوصف الذي تطلقه على الله سبحانه وتعالى أن يكون لائقاً بمقامه وجلاله وكماله. فتنزيه الأسماء بأن لا أطلقها على غيره وبأن لا أطلق عليه اسماً غير لائق.

أما تنزيه الذات مع قطع النظر عن الاسم، فهذا يكون بالجلال والجمال، تنزيه الذات أنه على كل شيء قدير، أنه ليس بجسم، إلى آخر الصفات الإيجابية والذاتية للذات، لكن باستحضار قلبي.

إذاً سبّح اسم ربك غير سبّح ربك، واذكر اسم ربك غير اذكر ربك، فذكر الاسم وتسبيح الاسم غير ذكر الذات وتسبيح الذات.

في هذا المقام العلامة الطباطبائي ﷺ في هذه الآية لم يتناول هذا البحث.

باعتقادي أن هذا الرأي هو الرأي المطابق للصواب، وليس التعبير تعبيراً من باب التفنن وتغيير الأسلوب الذي أكثر منه السكاكي في مفتاحه، فالسكاكي كثير من النكات البلاغية يجعلها من باب التفنن وتغيير الأسلوب حتى لا يمل السامع، فيقول -مثلاً- في نكتة الالتفات تقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمينَ﴾[٥] فهنا الكلام عن ذات غائبة، وهكذا إلى أن يصل إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعين﴾[٦] فانتقل والتفت من الغيبة إلى الخطاب.

فمثل السكاكي يجعل السر في ذلك أن هذا تفنن حتى لا يمل السامع. ونقول هذا في القرآن الكريم ليس صحيحاً، فهو ليس كتاب قصص وما شابه. هذه عبارة عن جري المدح على لسانك لكي تصل إلى مرحلة تصبح لائقاً بأن تخاطب الله سبحانه وتعالى.

ورد في بعض الأخبار عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (إِذَا قَرَأْتَ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى)[٧] فمع الآية التي نبحث عنها لا يوجد فرق؛ لأنه هذه ذكرت الآية مورد البحث ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وما في الرواية قالت (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ) لأن التسبيح من مصاديق الذكر.

قال الإمام عليه السلام قال (فَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى) حتى لو كان ذلك بينك وبين نفسك، نفهم من هذه الرواية أن ذكر الاسم في ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ﴾ وتنزيه الاسم في (سَبِّحِ اسْمَ) إنما هو مقدمة لذكر الذات وتنزيه الذات، والمقدمة غير ذي المقدمة.

فالإمام عليه السلام يريد القول إن ذكر الاسم وتنزيه الاسم لابد أن يكون مقدمة لتنزيه الذات وذكره الذات. هذا المعنى نقبله، وظاهر هذه الرواية يدل عليه؛ لأنه الإمام عليه السلام قال: (إِذَا قَرَأْتَ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى)[٨] وما قال قل: سبحان اسم ربي.

---

[٥] الفاتحة: ٢
[٦] الفاتحة: ٥
[٧] بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٨٩، ص: ٢٢٠
[٨] بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٨٩، ص: ٢٢٠

إذاً هناك تفاوت بين ذكر الاسم وذكر الذات، تنزيه الاسم وتنزيه الذات، تنزيه الاسم وذكر الاسم مرتبة أدنى تكون في مرحلة المقدمية لتنزيه الذات.

وفي هذه المحطة ما زال يوجد بحث، لماذا اختار من المسميات المضاف إليها الاسم لفظة الربوبية؟ لماذا يختر غير هذا اللفظ؟ ما هو علاقة ذلك بسياق الآية؟

يأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله.